

أشجان الموت وأشواق الشهادة

د. محمد عمر دولة

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة صغيرة حول فلسفة الموت في الإسلام ، وقد قمت بتحقيقتها وتخريج أحاديثها والتعليق عليها وشرح الآيات التي وردت فيها لتكون رسالة مناسبة لعامة الناس ، حتى لا يتعلقوا بهذه الحياة الفانية، وينسوا الآخرة التي وعد الله تعالى بها.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان: ٣٣]

يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهُ لِيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْوَالِهِ، فَهُوَ يَوْمٌ لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَحَدٌ نَفْعَ أَحَدٍ، فَلَا الْوَالِدُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ ابْنَهُ، وَلَا الْمَوْلُودُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ وَالِدَهُ، أَوْ أَنْ يَنْفَعَهُ شَيْءٌ، أَوْ أَنْ يَحْمِلَ مِنْ ذُنُوبِهِ شَيْئًا، وَلَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ، وَإِحْلَاصُهُ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَلَّا تُلْهِيَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَزِينَتِهَا، وَمَتَاعِهَا، عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا. كَمَا يَأْمُرُهُمْ بِأَلَّا يَعْرِهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِتَزْيِينِهَا لَهُمْ.^١

وقد تعرض فيه المؤلف عفا الله عنه للموضوعات التالية :

(١) الموت عند الكفار (=٢) الموت عند المؤمن (=٣) ارتباط الموت بعقائد الأمم (=٤) حقيقة الموت (=٥) الموت ووجود الخالق (=٦) الموت ومعرفة الله (=٧) الموت والتوكل (=٨) الموت والقدر (=٩) اليقين بالموت (=١٠) الغفلة عن الموت (=١١) اقتراب الموت (=١٢) الموت وفناء الدنيا (=١٣) الموت ولذات الدنيا (=١٤) الموت والزهد (=١٥) اليقين بأن الموت بالمرصاد (=١٦) الموت والانتقاء (=١٧) الموت بوابة اليوم الآخ (=١٨) الموت الحقيقي (=١٩) الموت ورسالتنا في الحياة (=٢٠) الصلة بين الشهادتين

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِعَدِّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي

^١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٣٨٣، بترقيم الشاملة آليا)

أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)
{ [الحشر]

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مُؤَلَّفَهُ وَمُحَقِّقَهُ وَقَارِئَهُ وَنَاشِرَهُ فِي
الْدَارَيْنِ.

الباحث في القرآن والسنة

وعضو الهيئة العامة للعلماء المسلمين

علي بن نايف الشحود

في ٥ شوال ١٤٣٣ هـ — ٢٤/٨/٢٠١٢



مقدمة المؤلف:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه
ومن والاه. وبعد،

[أ] - فما أحوَجنا إلى تذكّر (الموت)، ودراسة (فقهه) في كلِّ
حين؛ لاسيما في هذه الأيام التي صار فيها اليهود والنصارى
يتهدّدوننا به! متبجّحين بقوة العناد، وأصبحوا يتجرّؤون على
مهاجمة ديار المسلمين بعد أن كانوا يفرون في عُقر ديارهم من
جيوش المسلمين، كما كان يوم خيبر حيث ولّوا مدبرين وهم
يصيحون: (مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ)!^٢ فليت شعري ما الذي يغيّر

^٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بَنِي قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بَنَاهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ
وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى
خَيْبَرَ، فَاتَّهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ،
وَإِنْ قَدِمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا
النَّبِيَّ ﷺ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَنَذِرِينَ}
[الصفات: ١٧٧] "صحيح البخاري (١/ ١٢٥) (٦١٠) وصحيح مسلم (٢/

٨٤(١٠٤٣) - (١٣٦٥)

[ش (مكاتلهم) جمع مكاتل وهو القفة. (ماحيهم) جمع مسحاة وهي المجرفة. (الخمس)
الجيش]

الرَّجَالِ وَيَدَّلُ الْأَحْوَالَ؟ {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]

[ب] - ولقد كان لأولي الألباب عبرة في تاريخنا الحديث في تواطؤ
دول الكفر في وعد بلفور (١٩١٧م) وفي احتلال اليهود لفلسطين
(سنة ١٩٤٨م)؛ وفي مجازر (صبرا وشاتيلا) و(البوسنة) وغيرهما.
كما كان للأمم في القديس عبر في تاريخ (الحروب الصليبية) لاسيما
حرب التتار التي قُتل فيها نحو المليونين من المسلمين!

[ت] - ولعل ما حصل في هذه الأيام من احتلال بغداد - دار
السلام - يؤكد من جديد أحقاد الصليبيين على يد أحفادهم
المجرمين؛ متواطئين هذه المرة مع اليهود أحفاد القردة والخننازير
عليهم من الله ما يستحقون.^٣

^٣ - وقبله احتلال أفغانستان والشيشان وكشمير ، وكذلك ما يفعله النظام النصيري
بالثورة السورية المباركة وتواطأ جميع الدولة العربية والأجنبية عليها لأكبر دليل على أن
ملة الكفر واحدة ، كما قال تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ
فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: ٧٣]
وقوله تعالى : { كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) }
[التوبة: ٨ - ١٠]

[ث] - ولا ريب أن في تذكر (معاني الموت) ما يحث أهل الإسلام على الثبات والجهاد وطلب الشهادة كما قال الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥]

[ج] - ولعل هذا الفقه للموت والحياة عند المجاهدين؛ من أعظم أسباب البشارة النبوية لهم: بلزوم الحق والظهور على الأعداء، كما قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^٤

وفي رواية وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ هَانِئٍ، حَدَّثَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^٥



^٤ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٤) - ١٧٣ - (١٩٢٣)

^٥ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٤) - ١٧٤ - (١٠٣٧)

١) الموت عند الكفار:

[أ] إِنَّ أَعْدَاءَنَا — وَإِنْ كَانُوا يَسْفِكُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْتُلُونَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ — مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِلْمَوْتِ، كَمَا تَحَدَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)} [البقرة: ٩٤، ٩٥]

[ب] وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّ بَوَاعِثَ الْإِيمَانِ فِيهِمْ تَشَوِّفُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ؛ فِيرْجُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤]

[ت] وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ

لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبُّ لِقَاءِ اللَّهِ وَأَحَبُّ لِلَّهِ لِقَاءُهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^٦

٢) الموت عند المؤمن:

[أ] إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْرُصُ عَلَى الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ كَرَامَةِ الشَّهَادَةِ؛ فَمَتَاهُ إِذَا نَالَ الشَّهَادَةَ هَتَفَ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، فَعَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسٌ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «بَعَثَ خَالَهُ، أَخٌ لَأُمِّ سُلَيْمٍ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا» وَكَانَ رَأْسُ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، خَيْرَ بَيْنِ ثَلَاثِ خِصَالٍ، فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِالْأُفِّ وَالْأُفِّ؟ فَطَعَنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ، فَقَالَ: غُدَّةٌ كَعْدَةِ الْبَكْرِ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ، اثْنُونِي بِفَرَسِي، فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ وَهُوَ رَجُلٌ

^٦ - صحيح البخاري (٨/ ١٠٦) (٦٥٠٧) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥) ١٥ - (٢٦٨٤)

(ليس ذاك) أي ليس المراد بلقاء الله تعالى الموت لأن الموت يكرهه كل إنسان بطبعه.
(حضر) حضره التزع للموت]

أَعْرَجٌ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، قَالَ: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ فَإِنْ
 آمَنُونِي كُنْتُمْ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغُ
 رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَوْمَتُوا إِلَى رَجُلٍ، فَأَتَاهُ
 مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ، - قَالَ هَمَامٌ أَحْسِبُهُ - حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ:
 اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ، فَقَتَلُوا كُلَّهُمْ غَيْرَ
 الْأَعْرَجِ، كَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ كَانَ مِنَ
 الْمَنَسُوحِ: إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا «فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ
 عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِغْلٍ، وَذَكَوَانٍ، وَبَنِي لَحْيَانٍ، وَعُصَيَّةٍ،
 الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ»^٧

[ب] وقد قصّ علينا القرآن في شأن أصحاب النبي ﷺ قصصاً
 عظيمةً، وأثنى عليهم {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا
 عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا

^٧ - صحيح البخاري (١٠٦/٥) (٤٠٩١) وصحيح مسلم (٣/١٥١١) ١٤٧ -
 (٦٧٧)

[ش (خير) أي خير عامر النبي ﷺ. (خصال) أمور. (أهل السهل) البوادي. (أهل
 المدر) البلاد وسكان البيوت المبنية من الطين اللزج المتماسك. (فطعن) أصابه الطاعون.
 (كغدة البكر) خرجت له في أصل أذنه غدة كالغدة التي تطلع على البكر وهو الفتي من
 الإبل والغدة قطعة صلبة يركبها الشحم تكون في العنق وغيره. (رجل أعرج) هو كعب
 ابن زيد رضي الله عنه. (رجل من بني فلان) المنذر بن محمد بن عقبة رضي الله عنه.
 (أنفذه) أي جرحه ونفذ الجرح من جانب إلى جانب]

عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) { [التوبة: ٩١ - ٩٣]

[ت] عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»^٨

[ث] فَمِنْ حِمَاةِ أَوْلَئِكَ الْأَعْدَاءِ الْأَشْقِيَاءِ أَهْمُ يَهْدِدُونَ الْمُسْلِمِينَ بِأَحَبِّ الْأَشْيَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى

^٨ - صحيح البخاري (١٧ / ٤) (٢٧٩٧) (صحيح مسلم (٣ / ١٤٩٧) (١٨٧٦)

[ش (لا تطيب نفوسهم) يسيئهم. (أن يتخلفوا عني) لا يخرجوا معي ويقعدوا خلافي في المدينة لعدم توفر النفقة لديهم أو السلاح أو العتاد. (ما أحملهم عليه) من مركب وغيره. (سرية) قطعة من الجيش. (لوددت) أحببت ورغبت]

الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ { [التوبة: ٥٢]

فالمسلم قد باع روحه خالصةً لله، كما قال الله عز وجل: { إِنْ اللَّهَ
اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ
بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { [التوبة: ١١١]

[ج] فشعارُ المسلم قولُ حُبيب بن عدي:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ^٩

٣) ارتباط الموت بعقائد الأمم:

^٩ - عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ، حَلِيفُ لِبْنِي
زُهْرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ»،
مِنْهُمْ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ، أَنَّ ابْنَةَ الْحَارِثِ، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهُمْ
حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، قَالَ حُبَيْبُ
الْأَنْصَارِيِّ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي،

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ،

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ، «فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا» صحيح البخاري (٩/

(١٢٠)(٧٤٠٢)

[أ] وأما أعداء هذه الأمة من اليهود والصليبيين قاتلهم الله؛ فإنهم من أشد الأمم حرصاً على هذه الحياة (الدنيا)؛ لأنهم كما قال ربنا عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) { [الروم]

[ب] وقد فضح الله تعالى عقولهم الكليّة وأنفسهم العليّة وأمايتهم الهزيلة، فقال جلّ جلاله: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ٩٦]

وما ذاك إلا لضحالة عقولهم وضلالة علومهم؛ كما قال عز وجل: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) { [البقرة]

[ت] فإذا كان الموت في سبيل الله نعمة ومنحة لنا نحن المسلمين؛ فإنه نقمة ومحنة على الكفار والمشركين؛ ولذلك تجدد اليهود والنصارى من أشد الناس جُبْنًا وخَوَرًا وخوفًا من ملاقاتة المجاهدين من المسلمين خاصّةً ومن أسباب المنايا عامّةً — بالرغم من تفوقهم

المادّي — كما حكى القرآن ذلك في قول الله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾ [الحشر]

[ث] ولعلّ ما يعيشه أعداؤنا هذه الأيام من رعبٍ مُستمرٍّ وعذابٍ مُستقرٍّ خيرٌ دليلٍ على فقدان الكُفّار للأمن؛ لأنّ (الأمن) ليس من صناعة الطائرات والأساطيل الجوّية؛ ولكنه من صياغة الإيمان وصناعة القلوب الجبّارة، كما جاء في حديث هرقل مع أبي سفيان، فعن الزُّهريّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكَبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ، وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ، وَهُوَ بِبَيْلِيَا، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَتَرَجَّمَانَهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ نَسَبًا، قَالَ: أَذْنُوه مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لَتَرَجَّمَانَهُ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَ فَكَذَّبُوهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْحَيَاءُ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُهُ عَنْهُ، قَالَ: ثُمَّ كَانَ
أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟، قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا
ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ قَطُّ؟، قَالَ:
قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ:
فَأَشْرَافُ النَّاسِ أَتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟، قُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ، قَالَ:
أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ
مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ
كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ:
فَهَلْ يَعْدُرُ؟، قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ
فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ،
قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟،
قَالَ: قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ:
بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟، قَالَ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَأَتْرَكُوا مَا كَانَ يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ،
وَالْعِفَافِ، وَالصَّلَةِ، فَقَالَ لَتَرْجُمَانَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ
فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فَيْكُمْ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ
قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،
فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟، قُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتُمُّ

بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَلَّطْتَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟، فَذَكَرْتَ أَنْ
 لَأَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ،
 وَسَلَّطْتَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟،
 فَذَكَرْتَ أَنْ لَأَ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ،
 وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَلَّطْتَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟،
 فَذَكَرْتَ أَنْ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَلَّطْتَ
 أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ
 حَتَّى يَتِمَّ، وَسَلَّطْتَ أَيْرَتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لَدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ
 فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَأَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ يُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ،
 وَسَلَّطْتَ هَلْ يَغْدُرُ؟، فَذَكَرْتَ أَنْ لَأَ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدُرُ،
 وَسَلَّطْتَ بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا
 تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ،
 وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَاةِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ
 مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَهُوَ نَبِيٌّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ
 أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّعْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ
 كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقُلَ، قَالَ:
 فَقَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ

وَرَسُولُهُ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمٌ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا } [آل عمران: ٦٤] . الْآيَةُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، قَالَ: وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنْ سَيُظْهِرَ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيْلِيَا وَهَرَقْلَ سُقِفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيْلِيَا أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: لَقَدْ أَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، فَقَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ رَجُلًا حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ، قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنُ غَيْرُ الْيَهُودِ فَلَا يُهَمُّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَلْيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ ذَلِكَ، أَتَى هِرَقْلَ رَجُلٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِ غَسَّانٌ يُخْبِرُهُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبِرَهُ هِرَقْلُ، قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمْخَتَيْنِ

هُوَ أَمْ لَا؟، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَصِنٌ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ
أَيَحْتَسِنُونَ، فَقَالَ لَهُ: هُمْ يَحْتَسِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
قَدْ ظَهَرَ، وَكَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةٍ، وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي
الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ، فَلَمَّ يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ
صَاحِبِهِ يُوَافِقُ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ
هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكِرَةِ لَهُ بِحِمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا
فَعُلِقَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ بَيْنَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ
وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَنْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتَتَّبِعُوا هَذَا الرَّجُلَ؟، فَحَاصُوا حَيْصَةَ
حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ أُغْلِقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ
نَفَرَتَهُمْ، وَأَيْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ
مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ أُخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِي
أُحِبُّ مِنْكُمْ فَسَجَدُوا لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ
هِرَقْلٍ. ١٠"

١٠ - الإيمان لابن منده (١/ ٢٨٨) (١٤٣) وصحيح البخاري (١/ ٨) (٧) وصحيح
مسلم (٣/ ١٣٩٣) - ٧٤ (١٧٧٣)

[ش(ركب) جمع راكب وهم العشرة فما فوق. (بالشأم) ويقال الشام والشأم
والمعروف الآن أن بلاد الشام هي سوريا والأردن وفلسطين ولبنان. (ماد فيها) صالحهم
على ترك القتال فيها. (بإيلياء) بيت المقدس. (بترجمانه) هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى
أخرى. (يأثروا) يرووا عني وينقلوا. (أشراف الناس) الشرف علو الحسب والمجد والمراد
هنا أهل النخوة والتكبر منهم لا على كل شريف. (ضعفاؤهم) أي أكثرهم من الضعفاء

وهم الفقراء والعبيد والموالي والصغار. (سخرطة) كراهية له وعدم رضا به. (مدة) عهد. (قال) أي أبو سفيان. (سجال) نوب مرة لنا ومرة علينا وأصل سجال جمع سجل وهو الدلو الكبير. (ما يقول أبأؤكم) أي من عبادة الأوثان ومفاسد الجاهلية. (العفاف) الكف عن المحرمات وحوارم مما لا يليق. (ليذر) ليترك. (وهم أتباع الرسل) في الغالب لا المستكبرون بغيا وحسدا. (بشاشته) نوره وحلاوته والفرح به والإنشراح. (الأوثان) جمع وثن وهو الصنم. (أنه خارج) أي سبيح نبي بهذه الصفات. (أخلص) أصل. (تجشمت) تكلفت على خطر ومشقة. (لغسلت عن قدمه) مبالغة في خدمته واتباعه والخضوع لما جاء به. (عظيم بصرى) أميرها وبصرى بلدة من أعمال حوران في جنوب بلاد الشام. (بدعاية) بدعوة وهي كلمة الشهادة التي يدعى إلى النطق بها أهل الملل الكافرة وهي عنوان التوحيد وأصل الإسلام دين الحق والاستقامة والعزة والكرامة (مرتين) مضاعفا بعدد من يقتدي به من قومه. (توليت) أعرضت عن الإسلام ورفضت الدول فيه. (إثم الأريسيين) إثم استمرارهم على الباطل والكفر اتباعا لك والمراد بالأريسيين الأتباع من أهل مملكته وهي في الأصل جمع أريسي وهو الحراث والفلاح. (كلمة سواء بيننا وبينكم) مستوية لا تختلف فيها الكتب المتزلة ولا الأنبياء المرسلون والآية من سورة آل عمران ٦٤. (الصخب) اللغط واختلاط الأصوات. (أمر أمر ابن أبي كبشة) عظم شأنه وأبو كبشة هو أحد أجداد النبي ﷺ وكانت عادة العرب إذا انتقصت إنسانا نسبته إلى جد غامض من أجداده وقيل هو أبوه من الرضاع. (بني الأفر) هم الروم وكان العرب يطلقون عليهم ذلك نسبة إلى أحد عظمائهم وقيل غير ذلك. (ابن الناطور) وفي رواية (الناطور) وهو اسم معرب معناه حارس البستان. (صاحب إيلياء وهرقل) أمير بيت المقدس من قبل هرقل. (أسقفا) لفظ معرب ومعناه عالم النصراني أو رئيسهم الديني. (خبيث النفس) مهموما. (بطارفته) جمع بطريق وهم خواص دولته وأهل مشورته. (استنكرنا هيئتكم) اختلف علينا حالكم وسمتكم. (حزاء) كاهنا يخبر عن المغيبات. (ينظر في النجوم) يتكهن من أحوالها. (ملك الختان) وفي رواية (ملك) أي ظهر سلطان الذين يختنون والختان قطع قلفة الذكر وكان الروم لا يختنون. (برومية) مدينة معروفة للروم

وما أحلى ما ورد من صفة المؤمن في حديث حلاوة الإيمان —
 عند الشيخين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
 قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ
 وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ،
 وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ" ١١
 [ج] وقد عبّر عن ذلك أحسن التعبير إمام الحنيفة إبراهيم عليه
 السلام بقوله: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُكُمْ
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
 بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) } [الأنعام]

٤) حقيقة الموت:

وهي مقر خلافة النصارى ورتاسهتهم. (حمص) بلدة معروفة من بلاد الشام. (يرم) يفارق
 وقيل يصل. (دسكرة) قصر حوله أو فيه منازل للخدم وأشباههم. (فحاصوا) نفروا
 وكروا. (حمر الوحش) جمع حمار والوحش حيوان البر. (وأيس من الإيمان) انقطع أمله
 منهم. (آنفا) قريبا أو هذه الساعة والأنف أول الشيء]

١١ - صحيح البخاري (١/١٢) (١٦) وصحيح مسلم (١/٦٦) (٦٧) - (٤٣)

[ش] وجد حلاوة الإيمان) انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين
 والحلاوة في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة. (لا يجبه إلا لله) لا يقصد من حبه
 غرضا دنيويا. (يقذف) يرمى]

[أ] إنَّ الموت حقيقةٌ عظيمةٌ يعتقدها المسلم؛ فهو يؤمن بها كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله؛ فالموت هو القنطرة إلى عالم البرزخ؛ حيث يعقبه البعثُ والنشورُ، والجنةُ والنارُ! كما قال القحطاني رحمه الله:

وحيأتنا في القبرِ بعد مماتنا حقًّا ويسألنا بها الملكان!
والقبرُ صحَّ نعيمه وعذابه وكلاهما للناسِ مُدَّخِرَان!
والبعثُ بعد الموتِ وعدُّ صادقٌ بإعادةِ الأرواحِ في الأبدان!
وصراطنا حقٌّ وحوضُ نبينا صدقٌ له عددُ النجومِ أواني!
يومُ القيامةِ لو علمتَ بمَوَلِهِ لفررتَ من أهلٍ ومن أوطان!^{١٢}
[ب] بل إنَّ شعراء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كانوا يلهجون بذكر حتمية الموت!
كما قال أمية بن أبي الصلت:
وقد عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يُتَبَعَ أَوْلَانَا بِأَخْرَانَا!^{١٣}
وقال لبید:

وكلُّ نفسٍ سوفَ تدخلُ بيتهم دُويهيَّةٌ تصفُرُ منها الأناملُ!^{١٤}

^{١٢} - نوَّية القحطاني ص ٢٥-٢٧. ط ٤٠٠. ١٤٢٠هـ.

^{١٣} - شرح ديوان المتنبي للعسكري (١/ ٣١٠) وكتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة الإعراب (ص: ٤٢٢) وما لم ينشر من الأمالي الشجرية (ص: ٣٤)

وقال قسُّ بن ساعدة:

في الداهيين الأولين من القرونِ لنا بصائرُ!
لما رأيتُ مواردًا للموتِ ليس لها مصادرُ!
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأصغرُ والأكابرُ!
أيقنتُ أنني لا محالةَ حيث صارَ القومُ صائرُ!^{١٥}

وقال زهيرُ بن أبي سلمى:

ومن هاب أسبابَ المنايا يئلهُ وإن يرقَ أسبابَ السماءِ بسلمٍ!^{١٦}

وقال كعبُ بن زهير:

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالتْ سلامتُه يوماً على آلةٍ حذباءَ محمولٍ!^{١٧}

^{١٤} - موسوعة الشعر الإسلامي (١٤٨ / ٥) والجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي (ص: ٢٨) والخلل في شرح أبيات الجمل (ص: ٧٥، بترقيم الشاملة آليا) والذخائر والعقريات (١ / ٢٧٨) والعقد الفريد (٤ / ٢٦٨) والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢ / ٨٥٩) والواضح في مشكلات شعر المتنبي (ص: ١١، بترقيم الشاملة آليا)

^{١٥} - الأوائل للعسكري (ص: ٦٧) والتذكرة الحمدونية (٦ / ٢٥٢) والحماسة البصرية (٢ / ٤٠٦) والعقد الفريد (٤ / ٢١٥) وثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: ١٢٢)

ولباب الآداب للثعالبي (ص: ١٢٢)

^{١٦} - موسوعة الشعر الإسلامي (١٢٣ / ١) والجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي (ص: ١٥٤) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (ص: ١٠٩، بترقيم الشاملة آليا) وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٧٤) وشرح القصائد العشر (ص: ١٢٥) وعلم العروض والقافية (ص: ٣٠) وفي تاريخ الأدب الجاهلي (ص: ٣٣٨)

٥) الموت ووجود الخالق:

[أ] والموت — لعمري — دليلٌ على وجود الخالق سبحانه؛ إذ إنَّ البقاء لله وحده، وللخلق الفناء؛ كما قال جل جلاله: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) } [فاطر:]

[ب] وذلك من أسرارِ المقارنةِ القرآنيّةِ البديعةِ بين الخالق والمخلوق؛ حيث انتفى الشبهُ بقول الله عزّ وجلّ: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: ١٧]!

ومن معاني المقابلة في كتاب الله تعالى بين بقاء الخالق وفناء المخلوق: { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) } [الرحمن: ٢٦، ٢٧]

[ت] فكلُّ أحد — بعد ذلك — يعلم الجواب عن قوله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) } [الطور]

^{١٧} - موسوعة الشعر الإسلامي (٣٧٠ / ٢) وأصول البحث الأدبي ومصادره - جامعة المدينة (ص: ١٨٣) والتذكرة الحمدونية (١٠ / ٦) والسحر الحلال في الحكم والأمثال (ص: ٩٠) والمصون في الأدب (ص: ٢٠٣) وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٣٨) ومصادر الشعر الجاهلي (ص: ٣٣٠) ونهاية الأرب في فنون الأدب (١٦ / ٤٣٥)

٦) الموت ومعرفة الله:

[أ] لا ريب أن التفكّر في الموت يبعث في النفس المعرفة بالله {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٨]

الذي خلق الخلق، وقدر الأجل والرّزق، وأحاط بخفايا الأقوال ودقائق الأعمال!

[ب] ولا شك أن في استرجاع العبد عند المصيبة وحلول الموت؛ علامة على الإيمان والهداية وشهادة بالعبودية لله، وبقينا بالبعث والنشور! كما قال الله عز وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ} (١٥٥) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة]

[ت] عن ثابت البناني، قال سمعت أنس بن مالك يقول لامرأة من أهله: تعرفين فلانة؟ قالت: نعم، قال: فإن النبي ﷺ مرّ بها وهي تبكي عند قبر، فقال: «أتقي الله، وأصبري»، فقالت: إليك عني، فإنك خلّو من مصيبتني، قال: فجاوزها ومضى، فمرّ بها رجل فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما عرفته؟ قال: إنه

لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَجَاءَتْ إِلَى بَابِهِ فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِ بَوَّابًا،
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ
الصَّبْرَ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ»^{١٨}

وفيه دلالة على أن الصبر قائم على معرفة بالله سبحانه وإيمان
بقدره ويقين بما عنده، ووعي عند الصدمة الأولى بفقده الابتلاء
وإدراك معاني الموت والحياة!
[ث] والله درّ من قال:

إذا مات ابنها صرختُ بجهلٍ وماذا تستفيدُ من الصّراخ؟
ستتبعه كعطفِ (الفاء) ليستِ بِمَهْلٍ أو كـ (ثم) على التراخي!^{١٩}
[ج] وقد قرّن يعقوبُ عليه السلام — بتمامِ علمه وكمالِ فهمه
— بين الصبرِ على البلاء والاستعانة بفاطر الأرض والسماء في قوله
عليه السلام: {فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }
[يوسف: ١٨]

[ح] وكأني بعمر الفاروق رضي الله عنه أدرك هذا المعنى الجليل
— بعلمه الوفير وقلبه الكبير — فبكى! عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ ، قَالَ

^{١٨} - صحيح البخاري (٦٥ / ٩) (٧١٥٤) [ش (خلو) خال. (رجل) هو الفضل بن
العباس رضي الله عنهما]

^{١٩} - جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور — محتويات موقع أدب (١٣٤ / ٤٠)
وديان أبي العلاء المعري (ص: ٢٥٥)

: سَمِعْتُ نَشِيحَ عُمَرَ وَأَنَا فِي آخِرِ الصُّفُوفِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ يَقْرَأُ : { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ } [يوسف: ٨٦] ٢٠

٧) الموت والتوكل:

[أ] ومن فقه تذكّر الموت أن نُحْيِيَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِنَا؛ وهذا من روائع إشارات الكتاب العزيز في قول الله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]
[ب] وإنّ من تمام المعرفة أن نجدد الإقرار بالعبودية لله ربّ العالمين الذي {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الروم: ١٩]
{وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)} [النجم]
[ت] وقد كان من حَنِيفَةِ آبِنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ ما حكاه القرآن من قوله عليه الصلاة والسلام: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)} [الشعراء]
[ث] وهذا المعنى ظاهرٌ في حديث حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ»، وَإِذَا أَصْبَحَ

٢٠ - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبله (٣/ ٢٢٣) (٣٥٨٥) صحيح

قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^{٢١} وقد أخرج الإمام البخاري بشفوف نظره في (الدَّعَوَات) و(التوحيد)؛ كأنما يُشير إلى هذه المعاني رحمه الله تعالى!

[ج] فالله — جلّ جلاله — {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} [الملك: ٢] هو الذي يستحقُّ أن يُعَلَى ويُعْبَدَ، ويُعْظَمَ ويُمَجَّدَ!

كما ورد بذلك العتابُ القرآنيُّ: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} [الفرقان: ٣]

٨) الموتُ والقدرُ:

[أ] إنَّ ذكرَ الموتِ يبعثُ في النفسِ اليقينَ بالقدرِ والصَّبرَ على مقارعة الخطوب؛ مصداقاً لقول الله عزَّ وجلَّ: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة: ٨] وقوله جلّ جلاله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ

^{٢١} - صحيح البخاري (٩/ ١١٩) (٧٣٩٤)

بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { [التوبة: ١١١] [ب] وَلَيْتَ شِعْرِي
هل كان شموخُ الإيمان بأهله إلا بالنظر إلى هذه المعاني؟! كما قال
الله عز وجل: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ
تَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا
إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ } [التوبة: ٥٢]!؟

وقال السحرة بعد أن صاروا من البررة: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا
جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [طه: ٧٢]

[ت] وفي قصة الغلام والراهب وأصحاب الأحدود آية بيّنة في
تحمل النار والقروح، ونصر القضية ببذل الروح، وفي حديث أنس
بن مالك رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ
وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا
سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي
الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ " ٢٢

٢٢ - صحيح البخاري (١/ ١٢) (١٦) وصحيح مسلم (١/ ٦٦) (٤٣) -

[ش] (وجد حلاوة الإيمان) انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين
والحلاوة في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة. (لا يحبه إلا لله) لا يقصد من حبه
غرضاً دنيوياً. (يقذف) يرمى]

[ث] ورحم الله البخاري حيث في ترجم في (كتاب الدعوات):
(باب الدعاء بالموت والحياة) أورد فيه حديث أنس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" ٢٣

[ج] وقد كان العارفون الحكماء يَتَسَلَّلُونَ في مصائبهم بشيءٍ من أشعار الرثاء، التي لم يَعُدْ لها في حياتنا — لأجل غُرْبَتِنَا عن اللغة العربية! — وظيفة تربوية: كقول أبي ذؤيب الهذلي في مرثيته السائرة:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِيهَا تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ؟! ٢٤

٢٣ - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٤) ١٠ - (٢٦٨٠)

[ش (لا يتمنين أحدكم الموت) فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا]

٢٤ - موسوعة الشعر الإسلامي (١٤٨/ ٨) والأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا (ص: ٢٨٢) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٢٥١) والحماسة البصرية (١/ ٢٢٩) والذخائر والعقريات (١/ ٢٢٧) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ١٥٦) والمآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي (٥/ ٢٦٥) والمفضليات (ص: ٤٢١) وتاريخ النقد الأدبي عند العرب (ص: ٧٤) وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٢/ ٣٨٨) وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١/ ٤٢٠) وشرح ديوان المتنبي للعكبري (٣/ ١٢٦) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢/ ١٦٣)

وقولِ التهامي بحكمته النادرة:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِذَاتِ قَرَارٍ!
بَيْنَمَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبِرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ!
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارٍ!^{٢٥}

٩) اليقين بالموت:

ولا عجباً؛ فالمسلم يعلم أنّ الله تعالى قد سَمَّى الموت يقيناً، فقال عزّ وجل: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩] وَيَعِي قولَ الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥] ويُدرِك ما جاء في حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ

^{٢٥} - موسوعة الشعر الإسلامي (٣ / ٦٧) وأبيات مختارة تشتمل على عقيدة، نصائح، مواظب، وصايا، حكم، أمثال، أدب (ص: ٧٩) والحماسة المغربية (٢ / ٨٦٧) والكشكول (٢ / ٢٠٥) وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٢ / ٣٨٣) ودمية القصر وعصرة أهل العصر (١ / ٤٩) وصيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١ / ١٢٤) ومجاني الأدب في حقائق العرب (٥ / ٢٢٧) ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار (ص: ١٠٣)

الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ. ذَكَرَ نَحْوَهُ قَالَ: «فِيكَتَبُ رِزْقُهُ، وَعَمَلُهُ،
وَأَجَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»^{٢٦}
وكأنما تمثّل أبو العتاهية هذه المعاني حين قال:

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ! وَمِنْ هَذَيْنِ كُلُّ الْحَادِثَاتِ!
ومهدُ المرءِ في أيدي الرّواقي كنعش المرء بين النّائحات!
وما سلّم الوليدُ من اشتكاءٍ فهل يخلو المعمرُ من أذاة؟^{٢٧}

(١٠) الغفلة عن الموت:

[أ] ولكنّ الغفلة تطغى على قلب الإنسان؛ فتتهوي به في منازل
النسيان، كما قال الله تبارك وتعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤] وقال القرطبي رحمه الله: "إنّ
من ذكّر الموتَ حقيقةً ذكره؛ نغص عليه لذّته الحاضرة، ومنعه من
تمنيها في المستقبل، وزهّده فيما كان منها يؤمل؛ ولكنّ النفوسَ
الرّاكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعّاظ وتزويق
الألفاظ!"^{٢٨}

^{٢٦} - الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥١) (٢٧٠) صحيح

^{٢٧} - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٣٩٨ / ٢)

^{٢٨} - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص ٩. دار الريان القاهرة. ط ٢.

[ب] ومعاني (الغفلة) عن (الحق)، و(كشف الغطاء)، و(عدم التذكر)؛ يجيء التعبير القرآني مصوراً موقف الناس من الموت! { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) } [ق: ١٩ - ٢٢]

إِنَّ الْكُفَّارَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ لَيَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ حِينَ الْمَوْتِ، وَحِينَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِذَا جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ كَشَفَتْ لِلإِنْسَانِ عَنْ الْيَقِينِ الَّذِي كَانَ يَمْتَرِي فِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ. وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ وَمَا تَكْشِفُهُ لِلإِنْسَانِ مِنْ يَقِينٍ، وَحَقَائِقٍ، هِيَ الْحَقُّ الَّذِي كُنْتَ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَفِرُّ مِنْهُ وَتَتَجَنَّبُهُ (تَحِيدُ)، وَهَذَا قَدْ جَاءَكَ، فَلَا مَحِيدَ لَكَ عَنْهُ، وَلَا مَهْرَبَ وَلَا مَنَاصَ.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً، فَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَدْ جَاءَكَ بِأَهْوَالِهِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَوْعَدَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ فِيهِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَبِّهَا وَمَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَيْهِ، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: إِنَّكَ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ،
وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ وَقَدْ انْجَلَى لَكَ ذَلِكَ، وَظَهَرَ لَكَ، حَتَّى
رَأَيْتُهُ عَيْنَانَا فَرَأَلَتْ عَنْكَ هَذِهِ الْغَفْلَةُ.^{٢٩}

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ
(٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) } [فاطر: ٣٦، ٣٧]

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَعَقَابُهُمْ
سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُحَكَّمُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِمَوْتٍ فَيَسْتَرْجِعُوا مِنْ
العَذَابِ وَالْآلَامِ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُقْتَرُ. وَكُلَّمَا خَبَتْ
نَارُ جَهَنَّمَ زَادَهَا اللَّهُ سَعِيرًا، لِيَسْتَمِرَّ عَذَابُهُمْ شَدِيدًا أَلِيمًا. وَمِثْلُ
هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ، جَاوِدٍ بِأَنُوعِهِ، مُكَذِّبٍ
لِرُسُلِهِ.

وَفِي النَّارِ يَذُوقُ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ حَرَّ النَّارِ وَلَهَبِهَا، فَيَأْخُذُونَ
فِي الْأَسْتِغَاثَةِ وَالْإِصْطِرَاحِ وَالضَّحِيحِ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
النَّارِ، وَأَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا، لِنَعْمَلَ صَالِحًا، وَنَتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَنُقْلَعَ عَمَّا

^{٢٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٢٨، بترقيم الشاملة آليا)

كُنَّا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
 إِنْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي،
 وَلِذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا وَمُقَرَّعًا (أَوْ تَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ
 تَعَالَى) : أَلَمْ نَجْعَلْكُمْ تَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَارًا؟ وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ
 يَنْتَفِعُونَ بِالْحَقِّ لَانْتَفَعْتُمْ بِهِ مَدَّةَ عُمرِكُمْ فِي الدُّنْيَا. وَجَاءَكُمْ الرَّسُولُ
 وَمَعَهُ كِتَابٌ يُنذِرُكُمْ بِالْعِقَابِ إِنْ خَالَفتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمْ
 طَاعَتَهُ، فَلَمْ تَتَّعِبُوا، وَلَمْ تَتَّعِظُوا، وَلِذَلِكَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى
 الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ عِقَابًا لَكُمْ
 عَلَى كُفْرِكُمْ وَمُخَالَفتِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ
 مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا مُنْقِذًا يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ.^{٣٠}

[ت] وقد قال الشعراء في هذا المعنى ما شاء الله أن يقولوا، فأنشد

عمران بن حطان:^{٣١}

حَتَّى مَتَى تَسْقَى النَّفُوسَ بِكَأْسِهَا ... رَيْبُ الْمُنُونِ وَأَنْتِ لَاهِ تَرْتَعُ
 أَفْقَدَ رَضِيَتْ بِأَنْ تَعْلَلِ بِالْمُنَى ... وَإِلَى الْمُنَى كُلِّ يَوْمٍ تَدْفَعُ
 وقال محمد الحميري:^{٣٢}

^{٣٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٧٧، بترقيم الشاملة آليا)

^{٣١} - البصائر والذخائر (٦٣ / ٣) وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى (٥/

٣٦٠) وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٧، بترقيم الشاملة آليا) وشعر الخوارج

(ص: ٢٤)

نُرَاعُ لِدِكْرِ المَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لغيرِهَا ... وَمَا كُنْتَ مِنْهُ فَهُوَ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ
يَقِينٌ كَأَنَّ الشَّكَّ غَالِبٌ أَمْرِهِ ... عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ
[ث] وما أصدق ما قال زين العابدين رضي الله عنه: ٣٣

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ وَاجَهَتْنَا ... وَنَلْهُو حِينَ تَعْدُو رَائِحَاتِ
كَرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٍ لِمَغَارِ ذِئْبٍ ... فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَائِعَاتِ
[ج] وما أحسن قول الشاعر يرثي أخاه: ٣٤

عَجَبًا يَا عَمْرُو مِنْ غَفَلَتِنَا ... وَالْمَنَايَا مَقْبَلَاتِ عُنُقَا
قَاصِدَاتِ نَحُونَا مَسْرَعَةٍ ... يَتَخَلَّلْنَ إِلَيْنَا الطُّرُقَا
فَإِذَا أَذْكُرُ فَقْدَانِ أَحْيٍ ... أَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِي أَرْقَا

٣٢ - الأغاني (٥/ ١٢٧، بترقيم الشاملة آليا) والذخائر والعقريات (١/ ٢٧٠)
واللطائف والطرائف (ص: ١٢) وشرح ديوان المتنبي للعكبري (٣/ ١١) وصيد الأفكار
في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (٢/ ٣٩٨) وعيون الأخبار (٢/ ٣٥٥) ومعاهد
التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٢٢٩)

٣٣ - شرح ديوان المتنبي للعكبري (٣/ ١١)
الحنوط طيب يستعمل في غسل الميت والصلاة الترحم والدعاء المعنى يقول رَحْمَةُ اللَّهِ
ومغفرته ورضوانه على الوجه الجميل وجعل الجمال كفنا لوجهها فكأنه يقول رحم الله
وجهها الجميل وقال ابن الأثير رَحْمَةُ اللَّهِ ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيبتها
الجمال كما غيبتها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة عن أعين الناس
٣٤ - تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ٥٢٣)

وَأَخِي وَأَيُّ أَخٍ مِثْلُ أَخِي ... قَدْ جَرَى فِي كُلِّ خَيْرٍ سَبَقًا

(١١) اقتراب الموت:

[أ] إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْيَى أَنْ الْمَنِيَّةَ، وَإِنْ كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُ؛ فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُ،
كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤]

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا» .. ماذا تكسب من خير
وشر، ومن نفع وضرر، ومن يسر وعسر، ومن صحة ومرض، ومن
طاعة ومعصية. فالكسب أعم من الربح المالي وما في معناه وهو
كل ما تصيبه النفس في الغداة. وهو غيب مغلق، عليه الأستار.
والنفس الإنسانية تقف أمام سدف الغيب، لا تملك أن ترى شيئاً
مما وراء الستار.

وكذلك: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» فذلك أمر وراء
الستر المسبل السميكة الذي لا تنفذ منه الأسماع والأبصار. وإن
النفس البشرية لتقف أمام هذه الأستار عاجزة خاشعة، تدرك
بالمواجهة حقيقة علمها المحدود، وعجزها الواضح، ويتساقط عنها
غرور العلم والمعرفة المدعاة. وتعرف أمام ستر الغيب المسدل أن
الناس لم يؤثروا من العلم إلا قليلاً وأن وراء الستار الكثير مما لم

يعلمه الناس. ولو علموا كل شيء آخر فسيظلون واقفين أمام ذلك الستر لا يدرون ماذا يكون غدا! بل ماذا يكون اللحظة التالية. وعندئذ تطامن النفس البشرية من كبريائها وتخضع لله.^{٣٥}

[ب] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^{٣٦}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَوَعَكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ أَمْرٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ^{٣٧}

[ب] فلا شيء في الدنيا يقي من الموت أو يمنع!

كما قال أبو ذؤيب الهذلي:^{٣٨}

^{٣٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط- ١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥٥٥)

^{٣٦} - صحيح البخاري (٨/ ١٠٢) (٦٤٨٨)

[ش (الجنة أقرب. .) هو كناية عن سهولة دخولها لمن أطاع وكذلك دخول النار لمن عصى. (شراك نعله) السير الذي تدخل فيه الأصابع]

^{٣٧} - صحيح البخاري (٥/ ٦٦) (٣٩٢٦)

^{٣٨} - موسوعة الشعر الإسلامي (٣٣٩/ ١٤٩) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/

١٦١) وتاريخ الإسلام ت بشار (٢/ ١٩٥) والبصائر والذخائر (١/ ٨٥) والتذكرة

الحمدونية (٤/ ٢٥٢) والتعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] (ص: ٤٤) والحماسة

ولقد حَرَصْتُ بَأَنْ أُدَافِعُ عَنْهُمْ ... فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنْ حِدَاقَهَا ... سَمِلْتَ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ ... بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرَعُ
وَتَجْلُدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ ... أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا ... وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

(١٢) الموت وفناء الدنيا:

[أ] والموت أقوى دليل على فناء الدنيا، كما قال تعالى: { مَا
عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٦]
مَا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا يَنْفَدُ وَيَفْنَى، وَمَا تَحْصُلُونَ عَلَيْهِ
نَتِيجَةَ الْعَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَالْحَنْثِ بِالْإِيمَانِ، كُلُّهُ يَنْفَدُ، لِأَنَّهُ
عَرَضٌ زَائِلٌ، أَمَّا ثَوَابُ اللَّهِ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ بَاقٍ، وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ
وَلَا نَفَادَ، لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. وَيُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ
سَيَجْزِي الصَّابِرِينَ عَلَى صَبْرِهِمْ، وَهُوَ أَحْسَنُ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ جَمِيعَ
التَّكَالِيفِ تَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ، وَهُوَ أَسُّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَحِينَ

المغربية (٢/ ٨٠٣) والذخائر والعقريات (١/ ٢٢٧) والفاضل (ص: ٥١) والمفضليات

(ص: ٤٢٢) وجمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٦)

يَجْزِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى
يَعِدُّهُمْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.^{٣٩}

وقال جلّ جلاله: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفَوْنَ أَجُورَكُمْ
يوم القيامة فمن زُحِرَ عن النار وأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وما الحياةُ
الدنيا إلا متاعُ الغرور!) [٥٠]

إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس: حقيقة أن الحياة في
هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتما .. يموت
الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون.
يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستدلون للعبيد. يموت الشجعان
الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن
.. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت
التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

الكل يموت .. «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» .. كل نفس تذوق هذه
الجرعة، وتفارق هذه الحياة .. لا فارق بين نفس ونفس في تذوق
هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع. إنما الفارق في
شيء آخر. الفارق في قيمة أخرى. الفارق في المصير الأخير:

^{٣٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٩٩٧، بترقيم الشاملة آليا)

«وَأَنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» ..

هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراق. وهذا هو المصير الذي يفترق فيه فلان عن فلان. القيمة الباقية التي تستحق السعي والكد. والمصير المخوف الذي يستحق أن يحسب له ألف حساب: «فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» ..

ولفظ «زُحِرَ حَ» بذاته يصور معناه بجرسه، ويرسم هيئته، ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها، ويدخل في مجالها! فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلا قليلا ليخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها، ويستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة .. فقد فاز ..

صورة قوية. بل مشهد حي. فيه حركة وشد وجذب! وهو كذلك في حقيقته وفي طبيعته. فللنار جاذبية! أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس في حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هي زحزحتها عن النار! أليس الإنسان - حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة - يظل أبدا مقصرا في العمل .. إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى! وهذه هي الزحزحة عن النار حين

يدرك الإنسان فضل الله، فيزحزحه عن النار! «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» ..

إنها متاع. ولكنه ليس متاع الحقيقة، ولا متاع الصحو واليقظة .. إنها متاع الغرور. المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعاً. أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع! فأما المتاع الحق. المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله .. فهو ذاك .. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار.^{٤٠}

[ب] فالدنيا مضمحلة^{٤١} اضمحلال^{٤٢} الزبد الذي يذهب جُفاءً! وفانية^{٤٣} فناء المشيم الذي اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ! فالمسلم يوقن بذهابه منفرداً إلى مصيره غداً! حين يُفارق الأحباب، ويترك فلذات الأكباد، كما قال عزّ وجل: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) { [مريم: ٩٣ - ٩٥]

إن كل من في السماوات والأرض إلا عبد يأتي معبوده خاضعاً طائعاً، فلا ولد ولا شريك، إنما خلق وعبيد. وإن الكيان البشري ليرتجف وهو يتصور مدلول هذا البيان .. «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا» فلا مجال لهرب أحد ولا لنسيان أحد «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ

^{٤٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٨٥٥)

الْقِيَامَةِ فَرْدًا» فعين الله على كل فرد. وكل فرد يقدم وحيدا لا يأنس بأحد ولا يعتز بأحد. حتى روح الجماعة ومشاعر الجماعة يجرّد منها، فإذا هو وحيد فريد أمام الديان. وفي وسط هذه الوحدة والوحشة والرّهبة، إذا المؤمنون في ظلال ندية من الود السامي: ود الرحمن: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» ..

وللتعبير بالود في هذا الجو نداوة رحية تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس. وهو ود يشيع في الملاء الأعلى، ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلىء به الكون كله ويفيض ..^{٤١}

[ت] فحينئذ تنقضي أعمارنا ويُقسّم الميراث، وتنقطع أعمالنا (إلا من ثلاث)! فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " ^{٤٢}

^{٤١} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٠٢٢)

^{٤٢} - صحيح مسلم (٣/١٢٥٥) ١٤ - (١٦٣١)

[ش (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله) قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف]

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ: صِفْ لَنَا غَسَلَ الْمَيِّتِ، فَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُكَاءِ^{٤٣}.

١٣) الموت ولذات الدنيا:

[أ] فالموتُ علاجٌ لأدواء الدنيا، كما قال رب العالمين: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [فاطر: ٥]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. . هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةَ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ بِزُخْرِفِهَا وَزِينَتِهَا، عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ حُلُولِ مَوْعِدِ الْحَشْرِ، وَبَعْثِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَدْعُوا الشَّيْطَانَ يَغُرَّكُمْ، وَيَفْتِنَكُمْ، وَيَصْرِفَكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللَّهِ، وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ، فَإِنَّهُ غَرَارٌ^{٤٤}

«إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» .. فلا يخلف ولا يتخلف ولا مفر من مواجهة هذا الهول العصيب. ولا مفر من الحساب الدقيق والجزاء العادل، الذي لا يغني فيه والد عن ولد ولا مولود عن والد. «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» .. وما فيها من متاع وهو ومشغلة فهي مهلة محدودة وهي ابتلاء واستحقاق للجزاء. «وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ»

^{٤٣} - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٣٦٨) وميزان الاعتدال (١/ ٤٩٧)

^{٤٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٤٦، بترقيم الشاملة آليا)

.. من متاع يلهي، أو شغل ينسي، أو شيطان يوسوس في الصدور. والشياطين كثير. الغرور بالمال شيطان. والغرور بالعلم شيطان. والغرور بالعمر شيطان. والغرور بالقوة شيطان. والغرور بالسلطان شيطان. ودفعة الهوى شيطان. ونزوة الشهوة شيطان. وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور! ^{٤٥}

وهذا سر الهدي النبوي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ» ^{٤٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ» ^{٤٧}

وَعَنْ ابْنِ بَرِيدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَأَمْسَكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ التَّبِيدِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا» ^{٤٨}

^{٤٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥٥٤)

^{٤٦} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٢٥٩ / ٧) (٢٩٩٢) صحيح

^{٤٧} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٢٦١ / ٧) (٢٩٩٣) صحيح

^{٤٨} - صحيح مسلم (٦٧٢ / ٢) ١٠٦ - (٩٧٧)

[ب] ورحم الله البخاري حيث روى في كتاب الرقاق (باب
سكرات الموت) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ
يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ
وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟
قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ،
وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ»^{٤٩}

[ت] والله درّ النووي حيث قال: " فقد قال الله تعالى: {وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ
أَنْ يُطْعَمُوا} [الذاريات: ٥٦ - ٥٧] وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا
لِلْعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ حُطُوطِ
الدُّنْيَا بِالزُّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلَّ لِإِخْلَادٍ، وَمَرَكَبُ عُيُورٍ لَا
مَنْزِلَ حُبُورٍ، وَمَشْرِعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنَ دَوَامٍ، فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاضُ
مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعِبَادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَادُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

[ش] (وكنتم هيتكم عن النبيذ) يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف إلا في سقاء أي

إلا في قربة إنما استثنائها لأن السقاء يبرد الماء فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف]

^{٤٩} - صحيح البخاري (٨/ ١٠٧) (٦٥١٢) وصحيح مسلم (٢/ ٦٥٦) (٦١ - ٩٥٠)

[ش] (نصب الدنيا) تعبها ومشاقها وما فيها من عناء]

وَأَزَيَّنْتَ وَظْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ { [يونس: ٢٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ولقد أَحْسَنَ الْقَائِلُ^{٥٠}:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا
فَإِذَا كَانَ حَالُهَا مَا وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ؛ فَحَقُّ
عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الْأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ
أُولَى النَّهْيِ وَالْأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أُنْشِرَتْ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ لِمَا نَبَّهَتْ
عَلَيْهِ. وَأَصَوَّبُ طَرِيقَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَرْشُدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ الْمَسَالِكِ،
التَّأْدِبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ
وَالْآلَاحِقِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ^{٥١}.

١٤) الموت والزهد:

^{٥٠} - موسوعة الشعر الإسلامي (١٤٣ / ١) والكشكول (١ / ٢٠٩) وتراجم شعراء
موقع أدب (١٠ / ٣٦٦) وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٢ / ٤٨٢)
وصيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (٢ / ٨٧) ومجاني الأدب في حقائق
العرب (٢ / ١٤) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس (٢ / ٨٦)

^{٥١} - رياض الصالحين ت الفحل (ص: ٥)

[أ] ومن هنا كان تذكُّر الموت من أقوى البواعث على العزوف عن الدنيا؛ لاسيما عند ذهاب الصالحين؛ وكأنما قصد البخاريُّ هذا المعنى في ترجمته البديعة في كتاب الرِّفاق: (باب ذهاب الصالحين)، حيث أورد قيس، أَنَّهُ سَمِعَ مِرْدَاسًا الْأَسْلَمِيَّ، يَقُولُ: وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ: «يُقْبِضُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئًا»^{٥٢}

[ب] وما أحسن قول الشاعر^{٥٣}:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني! فقد أفنيت كلَّ خليل!
أراك بصيراً بالذين أودَّهم! كأنك تنحو نحوهم بدليل!

[ت] ورحم الله أبا بكر رضي الله عنه؛ فقد روى مالك عن أبي التَّضَرِّ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَشُهَدَاءُ أَحَدٌ «هَؤُلَاءِ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: أَلَسْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِإِخْوَانِهِمْ؟ أَسَلَّمْنَا كَمَا أَسَلَّمُوا. وَجَاهَدْنَا كَمَا

^{٥٢} - صحيح البخاري (١٢٣/٥) (٤١٥٦)

[ش (يقبض الصالحون) يتوفون. (الأول فالأول) الأصلح فالأصلح. (حفالة) مثل حفالة وهي الرديء من كل شيء ونفايته أي من لا خير فيه من الناس. (لا يعبا. .) لا يبالي أي ليس لهم منزلة عنده]

^{٥٣} - الطيوريات (٢/٥٢٤) ومجاني الأدب في حقائق العرب (٢/٢٥)

جَاهِدُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى وَلَكِنْ لَا أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ
بَعْدِي؟» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ بَكَى. ثُمَّ قَالَ: أَتِنَّا لَكَائُنُونَ بَعْدَكَ؟^{٥٤}
[ث] وكذلك كانت عائشة الصديقة رضي الله عنها فقد كانت

تَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ قَوْلِ لَبِيدٍ^{٥٥}:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ ... وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ
الْأَجْرَبِ

يَتَأْكُلُونَ مَشِيحَةً وَخِيَانَةً ... وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْعَبِ "

[ج] فليسان حال المسلم عند ذهاب الصالحين^{٥٦}:

هَبْنِي بَقِيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَبَدِ ... وَنَلْتُ مَا شِئْتُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ
وَلَدٍ

مَنْ لِي بِرُؤْيَا مِنْ قَدْ كُنْتُ آلَفُهُ ... وَبِالشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَلَمْ يَعِدْ
لَا فَارِقَ الْحُزْنِ قَلْبِي بَعْدَ فِرْقَتِهِمْ ... حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
[ح] عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، " أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا
تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَقُولُ: وَآ أَبْتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ، وَآ

^{٥٤} - موطأ مالك ت عبد الباقي (٢/ ٤٦٢) (٣٢) صحيح مرسل

^{٥٥} - الأدب لابن أبي شيبة (ص: ٣٥٤) (٣٧٨) ومصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة
(١٣/ ٢٩٥) (٢٦٥٦٣) صحيح

^{٥٦} - المنتحل (ص: ٢٥١) وخاص الخاص (ص: ١٢٧) وربيع الأبرار ونصوص الأخيار
(٣/ ٣٢) ونثر الدر في المحاضرات (١/ ٢٦٦)

أَبْتَاهُ جَنَانُ الْخُلْدِ مَأْوَاهُ، وَابْتَاهُ رَبُّهُ يُكْرِمُهُ إِذَا أَتَاهُ، وَابْتَاهُ الرَّبُّ
وَرُسُلُهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ حِينَ يَلْقَاهُ، فَلَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^{٥٧}:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ... وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ
وَإِنْ افْتَقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ... دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ»
[خ] فما من صاحبين — ولو كانا شقيقين — إلا سيفترقان! كما
قيل^{٥٨}:

وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لِعَمْرِ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ!
وكذلك قال البخاري رحمه الله حينما نُعِيَ إليه الحافظُ عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي:^{٥٩}

^{٥٧} - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ١٧٨) (٤٧٦٨) (موسوعة الشعر
الإسلامي (٣/ ١) والبيان والتبيين (٣/ ١٢٥) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٢٣٧) والتعازي
[والمراثي والمواظ والوصايا] (ص: ٢٠٧) والحماسة البصرية (١/ ٢٤٨) وزهر الآداب
وثمر الألباب (١/ ٨٢) وطبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار (ص:
٢٠٠) ومجاني الأدب في حقائق العرب (٢/ ٢٥)

^{٥٨} - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ١٣٠) والتعازي [والمراثي والمواظ
والوصايا] (ص: ١١٣) والحماسة البصرية (٢/ ٤١٨) والعقد الفريد (٣/ ٤٤)
والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٢٢٧) وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب
للبيهقي (٣/ ٤٢١) ومجمع الأمثال (١/ ٤٣٨)

^{٥٩} - تعليق التعليق (٥/ ٤٠٠) والعقد الفريد (٥/ ١٧٤)

إن عشت تُفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع!
 [د] فعزاء المؤمن أنه إذا مات لقي الأحبة: محمداً ﷺ وصحبه! عَنْ
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ
 وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ
 مَنْ أَحْبَبْتَ»^{٦٠}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَحَدَّثَ النَّاسَ فَقَامَ
 رَجُلٌ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَبَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
 وَجْهِهِ، فَقُلْنَا لَهُ: اقْعُدْ فَإِنَّكَ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ قَامَ
 الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَبَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
 وَجْهِهِ أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى، ثُمَّ قَامَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى
 السَّاعَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيَحْكُ وَمَاذَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» فَقَالَ
 الرَّجُلُ: أَعَدَدْتُ لَهَا حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «اجْلِسْ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^{٦١}

[ذ] وتأمل فقه فاطمة رضي الله عنها فقد سارها رسول الله ﷺ
 بدئوا أجله؛ فبكت، ثم سارها بأنها أول من تلحق به؛ فضحكت!

^{٦٠} - صحيح البخاري (٤٠ / ٨) (٦١٧١)

^{٦١} - السنن الكبرى للنسائي (٥ / ٣٧٦) (٥٨٤٢) صحيح

فَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي شُكْرَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ فَبَكَيتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتَّبِعُهُ فَضَحِكْتُ»^{٦٢}

ورحم الله أمنا عائشة فعن ابن أبي مُليكة قال: تُوفِّي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْحُبَشِيِّ جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ فَقَدِمَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: "ذُلُونِي عَلَى قَبْرِ أَخِي. فَأَتَتْهُ وَدَعَتْ لَهُ وَقَالَتْ:

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِمَةَ حَقَبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا ... لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا لَوْ شَهِدْتُكَ مَا بَكَيتُ عَلَيْكَ، وَلَوْ حَضَرْتُكَ دَفَنْتُكَ حَيْثُ مِتَّ"^{٦٣}

^{٦٢} - صحيح البخاري (١٠ / ٦) (٤٤٣٣)

^{٦٣} - أخبار مكة للفاكهي (٤ / ١٩١) (٢٥١٣) وأخبار مكة للفاكهي (٥ /

(٦٢) (٢٩٠٣) من طرق صحيح

حذیدن جبَلانِ خَارِجَانِ عَنْ مَكَّةَ بِأَسْفَلِهَا، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرَفٌ يُشْرِفُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ. سَيَحِينُ جَبَلَانِ فِيمَا هُنَالِكَ أَيْضًا يَتَنَاطَرَانِ. شَامَةٌ وَطَفِيلٌ: جَبَلَانِ خَارِجَانِ عَنْ مَكَّةَ عَلَى نَحْوِ مَنْ ثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْ مَكَّةَ. وَأَمَّا لَبْنٌ فَهُوَ لَبْنٌ فِي طَرَفِ أَضَاةٍ لَبْنٍ، وَالْأَضَاةُ هِيَ الْأَرْضُ، وَلَبْنٌ هُوَ الْجَبَلُ، وَالْأَضَاةُ مِنْ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ، وَهُوَ جَبَلٌ طَوِيلٌ لَهُ

١٥) اليقين بأن الموت بالمرصاد:

[أ] وذلك لقبض الناس أجمعين الأولين منهم والآخرين؛ كما قال الله عز وجل: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)} [مریم]

وَأَنذِرِ النَّاسَ جَمِيعًا، وَحَذِّرْهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمٌ يَتَحَسَّرُ الظَّالِمُونَ فِيهِ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، حِينَ يُفْرَغُ مِنَ الْحِسَابِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ فَرِيقٍ: إِنَّهُ الْخُلُودُ حَيْثُ هُمْ، فَلَا مَوْتَ وَلَا زَوَالَ. وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَعَنْ حَسْرَاتِهِ، وَأَهْوَالِهِ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالْمُجَازَاةِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

لَا يُحْزِنُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ تَكْذِيبَ الْمُكْذِبِينَ لَكَ فِيمَا آتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرُهُمْ، وَمَصِيرُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَالْخَلَائِقُ كُلُّهَا تَهْلِكُ، وَيَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ وَارِثًا لِّجَمِيعِ خَلْقِهِ،

رَأْسَانِ، وَعِنْدَهُ أَضَاءُ بَنِي غِفَارٍ، وَأَضَاءُ بَنِي غِفَارٍ هَذِهِ فِي طَرِيقِ الْيَمَنِ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَتَاهَا وَكَانَ بِهَا "

وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،
فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.^{٦٤}

[ب] فالموت أجلٌ مقدَّرٌ وقدرٌ محتومٌ على الأولين والآخرين، كما
قال تعالى: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } [الزمر: ٣٠] وَمَا
جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
(٣٥) { [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]

فلا ينجو منه إنسانٌ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ
أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥]
يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ الْمَوْتِ، وَتُحَسُّ
بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ. وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ
الْأَرْوَاحَ لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ الْبَدَنِ، لِأَنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لَا يُحَسُّ بِهِ إِلَّا
الْحَيُّ، وَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُ
النَّاسُ إِلَى اللَّهِ، وَتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ أَجُورَهَا عَمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ،
فَمَنْ حُبِّبَ النَّارَ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ كُلُّ الْفَوزِ.

^{٦٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢٨٩، بترقيم الشاملة آليا)

وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا تَافِهًا زَائِلًا، صَاحِبُهُ مَعْرُورٌ مَخْدُوعٌ، وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أَنْ يَضْمَحَلَّ عَنْ أَهْلِهِ.^{٦٥}

ولا يحول دونه زمان! {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ٩٦]

ولا يتخفى منه في مكان! {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: ١٥٤]

مُشِيدَةً {[النساء: ٧٨]

يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانُوا مُقِيمِينَ فِي حُصُونٍ مَبْنِيَّةٍ، قَوِيَّةِ الْبُنْيَانِ وَالتَّحْصِينِ وَلِلنَّاسِ أَجَلٌ مَحْتُومٌ، وَوَقْتُ مَعْلُومٌ، لَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ، سَوَاءٌ أَجَاهَدُوا وَتَعَرَّضُوا لِمَخَاطِرِ الْحُرُوبِ، أَوْ قَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ، فَلَا يُقَدِّمُ الْجِهَادَ أَجَلًا. وَلَا يُؤَخِّرُ الْقُعُودُ أَجَلًا

^{٦٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

فَلِمَاذَا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ، وَيَجْبُنُونَ وَيَتَمَنُّونَ الْبَقَاءَ، أَلَيْسَ هَذَا
بِضَعْفٍ فِي الْعَقْلِ وَالْدِّينِ؟^{٦٦}

[ت] ولقد صدق المتنبي حيث قال:^{٦٧}

نُعَدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلا قِتَالٍ
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِينُ مِنْ حَبِّ اللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعِشْ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ
فإنه ليس عن الموت مَحِيدٌ؛ فهو قدرٌ مكتوبٌ، وحوضٌ مورودٌ!
[ث] وقد تمثل الشعراء هذا المعنى، كما قال شرف الدين بن أبي
عصرون^{٦٨}:

^{٦٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٧١، بترقيم الشاملة آليا)

^{٦٧} - موسوعة الشعر الإسلامي (١١٥٥ / ١) والتذكرة الحمدونية (٢٣٢ / ٤) والحماسة
المغربية (٨٦٥ / ٢) والذخائر والعقريات (٢٩٠ / ١) والمثل السائر في أدب الكاتب
والشاعرات الحوفي (٢٤ / ٢) والمدهش (ص: ١٧٧، بترقيم الشاملة آليا) وما لم ينشر
من الأمالي الشجرية (ص: ١٢١) ومجالي الأدب في حقائق العرب (٢٣٤ / ٦) ومعاهد
التنخيص على شواهد التلخيص (٥٣ / ٢)

المشرفية: السيوف - والعوالي: الرماح، والمنون: الموت، والسوابق جمع سابق وسابقة،
والمقربات من الخيل هي الكرام التي ترتبط لكرامتها على أصحابها أو لفرط الحاجة إليها
والحبيب: عدو لا يستفرغ الجهد، يقول المتنبي: نحن نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء
ومدافعة الأقران؛ والموت يحترق نفوسنا

^{٦٨} - تاريخ الإسلام ت بشار (٨٠٣ / ١٢)

أَوْمَلْ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِي الْمَوْتَى يُهْزُ نَعْوَشُهَا!

وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليل في الزمان أعيشها!

[ج] ولا يخفى أن في سلام الأحياء على الأموات إشارة إلى هذه المعاني، فعن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْآحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ " ٦٩

[ح] وقد وعظ النبي ﷺ الصحابة عند القبر، كما روى الشيخان عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ،

٦٩ - صحيح مسلم (٢/ ٦٧١) ١٠٤ - (٩٧٥)

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: ٦] الآية^{٧٠}
[خ] وما أروع ما قال المعري: ^{٧١}

يمرُّ الحولُ، بعدَ الحولِ، عني، وتلك مصارعُ الأقوامِ حولي
كأني بالألى حفرُوا لجاري، وقد أخذوا المحافرَ وانتَحَوْا لي
[د] والله درّ ابن سناء الملك حيث قال:

وإذا رأيتَ جنازةً محمولةً فاعلمْ بأنك فوقها محمولُ!
وقال ابن الجوزي: "ابك على نفسك قبل أن يبكي عليك،
وتفكر في سهم قد صوب إليك، وإذا رأيت جنازة فاحسبها أنت.
وإذا عاينت قبراً فتوهمه قبرك وعد باقي الحياة رجاً".^{٧٢}

١٦) الموت والانتقاء:

^{٧٠} - صحيح البخاري (٩٦ / ٢) (١٣٦٢) وصحيح مسلم (٤ / ٢٠٣٩) - (٢٦٤٧)
[ش (بقيع الغرقد) مقبرة أهل المدينة والبقيع موضع من الأرض فيه أصول شجر والغرقد
شجر له شوك كان ينبت في ذلك المكان بكثرة فأضيف إليه. (محصرة) ما يتوكأ عليه من
عصا وغيرها. (فنكس) خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض. (ينكت) يضرب في الأرض.
(منفوسة) مخلوقة. (كتب) قدر وعين. (نتكل على كتابنا) نعتمد على ما قدر علينا.
(أعطى واتقى) أعطى الطاعة واتقى المعصية أي جاهد نفسه فبذل الطاعة واجتنب
المعصية. (الآية) أي وما بعدها / الليل ٥ - ١٠

^{٧١} - تراجم شعراء موقع أدب (٤٣ / ١٠٠) وديوان أبي العلاء المعري (ص: ١١٣٩)

^{٧٢} - المدهش (ص: ١١٥، بترقيم الشاملة آليا) - زيادة مني

[أ] إن الموت ينتقي الأخيار، كما قال تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ١٤٠]

وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»!^{٧٣}

[ب] وقد اعتبر النبي ﷺ شهادة المسلمين للميت بالصلاح مقبولة، عن أنس بن مالك، قال: مرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقُلْتُ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُنْتِمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أُنْتِمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^{٧٤}

^{٧٣} - صحيح البخاري (٨/ ١٠٦) (٦٥٠٨) (صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥) ١٤ -

(٢٦٨٣)

^{٧٤} - صحيح مسلم (٢/ ٦٥٥) ٦٠ - (٩٤٩)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ
مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى
الْمُؤْمِنِ»^{٧٥}

[ت] وإنَّ في ما نراه اليومَ من تحسُّرِ الناسِ على ذهابِ الصالحينِ
وحُزنهم على فقدهم لآيةٌ على زوالِ الدنيا وهوانها؛ إذ يتلازم
ذهابُ الدنيا مع ذهابِ العلماء ونزولُ الجهل ورفع العلم وحلول
الفتن؛ نسأل الله السلامة.

١٧) الموت بَوَابُةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ:

[أ] والموت يبعث على اليقين بأنَّ ما عند الله خيرٌ لعباده الصالحين
من متاع الدنيا كله؛ فعن أنسٍ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ
أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ، أَوْ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا
، فَاَنْطَلَقَا إِلَيْهَا، فَجَعَلَتْ تَبْكِي، فَقَالَا لَهَا: يَا أُمُّ أَيْمَنَ، إِنَّ مَا

[ش (فأثنى عليها خيرا فأثنى عليها شرا) هكذا هو في بعض الأصول خيرا وشرا
بالنصب وهو منصوب بإسقاط الجار أي فأثنى بخير وبشر وفي بعضها مرفوع ومعنى
الإثناء هو الوصف يستعمل في الخير والشر والاسم الثناء قال في المصباح يقال أثنت عليه
خيرا وبخيرا وأثنت عليه شرا وبشرا لأنه بمعنى وصفته]
^{٧٥} - صحيح مسلم (٢٠٣٤/٤) - ١٦٦ - (٢٦٤٢)

[ش (تلك عاجل بشرى المؤمن) قال العلماء معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي
دليل البشرى المؤخرة إلى الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات الآية وهذه البشرى المعجلة
دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له فيحبيه إلى الخلق]

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ ، انْقَطَعَ عَنَّا ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.^{٧٦}

[ب] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^{٧٧}

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخْذِي غَشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» قُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَتْ: فَكَأَنَّتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^{٧٨}

^{٧٦} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبله (٥٦٥ / ٢٠) (٣٨١٨٢) صحيح

^{٧٧} - صحيح البخاري (١٠ / ٦) (٤٤٣٦)

[ش (في الرفيق الأعلى) الرفيق اسم جنس يشمل الواحد والجماعة أي: الحقني وأدخلني في جملة الرفقاء الذين خصصتهم بالمكانة الرفيعة في أعلى الجنان وهم المذكورون في آية النساء السابقة]

^{٧٨} - صحيح البخاري (٨ / ١٠٦) (٦٥٠٩) وصحيح مسلم (٤ / ١٨٩٤) ٨٧ -

(٢٤٤٤)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنْ أَمِنَ النَّاسُ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^{٧٩}

وقال يوسف عليه السلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١]

لَمَّا تَمَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوسُفَ بِاجْتِمَاعِهِ بِأَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، وَرَأَى مَا مِنْهُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الثُّبُوتِ وَالْمُلْكِ، وَمَا وَهَبَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ، اتَّجَهَ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِ بِالدُّعَاءِ قَائِلًا: يَا رَبِّ أَنْتَ خَالِقِي وَمَالِكُ أَمْرِي، وَمُتَوَلِّي نِعْمَتِي، فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي،

^{٧٩} - صحيح البخاري (١/ ١٠٠) (٤٦٦)

[ش (أمن الناس) أكثرهم جوداً بنفسه وماله بدون استثناء ولا منة. (خليل) صديقاً أنقطع إليه وأفرغ قلبي لمودته من الحلة وقد قيل في معناها غير ذلك]

تَوَفَّنِي عَلَى مَا ارْتَضَيْتَ لَأَنْبِيَائِكَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَدْخِلْنِي فِي
زُمْرَةِ مَنْ هَدَيْتَهُمْ إِلَى الصَّلَاحِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ.^{٨٠}
[ت] وقد تمتنى عمر رضي الله عنه الموت لما كبرت سنّه وكثرت
رعيته. وأخبر النبي ﷺ أنه في زمان الفتن التي تموج كموج البحر
فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا
كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي
مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^{٨١}
يتمنى العبد أن يُنجاه الموت من فتنة الدّين، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ،
قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَذْكُرُ، قَالَ: لَمَّا صَدَرَ عَمْرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَاخَ بِالْبَطْحَاءِ، وَقَالَ الثَّقَفِيُّ فِي حَدِيثِهِ: أَنَاخَ
بِالْبَاطِحِ، ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةَ بَطْحَاءَ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا صَنْفَةً رِدَائِهِ، وَقَالَ:
" اللَّهُمَّ كَبِّرْتَ سَنِّي، وَضَعَفْتَ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي "

^{٨٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦٩٨، بترقيم الشاملة آليا)

^{٨١} - صحيح مسلم (١/ ١١٠) ١٨٦ - (١١٨)

[ش (بادروا بالأعمال فتنا) معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل
تعوذها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام
الليل المظلم لا القمر]

إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ "، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَمَا
أَنْسَلَخَ الشَّهْرَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^{٨٢}

كما روى البخاري في باب: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُعْبَطَ أَهْلُ
الْقُبُورِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى
يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ "^{٨٣}

[ث] ورحم الله التهامي؛ فقد أحسن التعبير عن هذا المعنى في رثاء
ولده، فقال:^{٨٤}

أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ ... وَفُقْتُ حِينَ تَرَكْتَ الْأَمَّ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

(١٨) الموت الحقيقي؛

[أ] إِنَّ الموت الحقيقيَّ ليس بقبض الأرواح وانقطاع الأنفاس؛
ولكنَّ الموت غفلةُ الناس عن الحقِّ وإعراضهم عن النبراس! كما

^{٨٢} - أخبار مكة للفاكهي (٣/ ٦١) (١٨٣١) صحيح

^{٨٣} - صحيح البخاري (٩/ ٥٨) (٧١١٥)

[ش (يا ليتني مكانه) أي يا ليتني أكون ميتا مثله وذلك لكثرة الفتن والخوف من ذهاب
الدين لغلبة أهل الباطل وظهور المعاصي والمنكرات]

^{٨٤} - الحماسة المغربية (٢/ ٨٦٩) والكشكول (٢/ ١٠٦) وجواهر الأدب في أدبيات
وإنشاء لغة العرب (٢/ ٣٨٤) ودمية القصر وعصرة أهل العصر (١/ ١٤٣) ومجاني
الأدب في حدائق العرب (٥/ ٢٢٨) ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار (ص: ١٠٤)

قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [الأنعام: ٣٦]

الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ، لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَعُونُهُ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ، فَيَعْقِلُونَ الْآيَاتِ، وَيُذَعِّنُونَ لِمَا عَرَفُوا بِهَا مِنَ الْحَقِّ، لِسَلَامَةِ فِطْرَتِهِمْ، وَصَفَاءِ نُفُوسِهِمْ، وَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ. أَمَّا الَّذِينَ لَا تُرْجَى اسْتِحَابَّتُهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَالْمَوْتَى، لَا يَسْمَعُونَ السَّمَاعَ النَّافِعَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، فَيَتْرَكُ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ، بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا تُهْلِكُ نَفْسُكَ عَلَى نَفْسِكَ، حَسَرَاتٍ، فَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِكَ هِدَايَتُهُمْ، وَلَا إِرْجَاعُهُمْ إِلَى حَادَّةِ الصَّوَابِ.^{٨٥}

وقال سبحانه: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٢٢]

هَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ مَيِّتًا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَأَحْيَا اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، وَهَدَاهُ وَوَفَّقَهُ إِلَى اتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ كَيْفَ يَسِيرُ، وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ وَالثَّوَرُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالْإِسْلَامُ. وَيَقُولُ تَعَالَى هُلْ يَسْتَوِي الْمُهْتَدِي السَّائِرُ عَلَى

^{٨٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٨٢٦، بترقيم الشاملة آليا)

هُدًى وَبَصِيرَةً، مَعَ الضَّالِّ السَّائِرِ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ
وَالضَّلَالِ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَى مَنَفَذٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ الْخُرُوجَ مِمَّا هُوَ فِيهِ؟
وَكَمَا زَيَّنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، كَذَلِكَ زَيَّنَ
الشَّيْطَانُ لِهَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ، وَذَبَحَ
الْقَرَائِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَحَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ
الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.^{٨٦}

[ب] وقد بين الله عزَّ وجلَّ أنَّ الشهداء من الأحياء؛ فقال جل
جلاله: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) } [آل عمران]

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَكِنَّ
أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللَّهِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ
الْمُنَافِقُونَ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ، فَهُمْ يُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ،
لَارْتِيَابِهِمْ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَالشُّهَدَاءُ أحيَاءُ يُرْزَقُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقًا حَسَنًا يَعْلَمُهُ هُوَ.

^{٨٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩١٢، بترقيم الشاملة آليا)

وَيَكُونُ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِحِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ
وَالْعِبْطَةِ، الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
يُقْتُلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَ مَا
يَسْتَشْهَدُونَ، لَا يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوهُ
فِي الدُّنْيَا.^{٨٧}

[ت] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ
انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ
بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "^{٨٨}

[ث] وقد عبر الشعراء عن هذا المعنى بقولهم:

ما مات من ترك الحياة وذكره عطر يطير مع الرياح الأربع!
وأنشدوا:^{٨٩}

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ ... إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا ... سَيِّئًا بِالْهَيْئَةِ الْقَلِيلِ الرَّجَاءِ

^{٨٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

^{٨٨} - صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥) - ١٤ (١٦٣١)

[ش] (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله) قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف

^{٨٩} - الأدب لابن أبي شيبة (ص: ٣٦٤) والأصمعيات (ص: ١٥٢)

وقالوا: ٩٠

يا رَبِّ حَيٍّ.. رِخَامُ الْقَبْرِ مَسْكَنُهُ وَرُبَّ مَيِّتٍ.. عَلَى أَقْدَامِهِ
انتصبا

وأنشدوا: ٩١

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي.

١٩) الموت ورسالتنا في الحياة:

[أ] لا شك أن الموت يُحيي فينا الوعي برسالتنا في هذا الوجود؛
كما قال الله عز وجل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا
لَا تُرْجَعُونَ} (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) { [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]
هَلْ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُمُ الْأَشْقِيَاءُ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ لَعِبًا وَبَاطِلًا (عَبَثًا) ، وَأَنَّا لَا
حِكْمَةَ لَنَا فِي خَلْقِكُمْ؟ إِنَّا لَمْ نَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَا بَاطِلًا لِلْعِب
وَالتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ لِتَعْبُدُوا اللَّهَ، وَتُقِيمُوا أَوَامِرَهُ، فَهَلْ حَسِبْتُمْ
أَنَّكُمْ لَا تَرْجَعُونَ إِلَيْنَا فِي الْآخِرَةِ لِنَحْاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ؟

٩٠ - تراجم شعراء موقع أدب (٤٩٧ / ٣٨)

٩١ - جامع بيان العلم وفضله (١١٣٩ / ٢) وأبيات مختارة تشتمل على عقيدة، نصائح،
مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب (ص: ٨٣) والسحر الحلال في الحكم والأمثال
(ص: ٤٩) وتراجم شعراء موقع أدب (٤٤٩ / ٢٣)

فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبَثًا، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّ الْعَرْشِ،
(وَالْعَرْشُ هُوَ سَقْفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ) فَهُوَ تَعَالَى الْمُهَيَّمِنُ الْمُسَيِّطِرُ
عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْكَرِيمُ.^{٩٢}

وعن الضَّحَّاكَ قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: "عِبَادَ الرَّحْمَنِ،
هَلْ جَاءَكُمْ مُخْبِرٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ تُقْبَلُ مِنْكُمْ؟ أَوْ
شَيْئًا مِنْ خَطَايَاكُمْ غُفِرَ لَكُمْ؟ {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥]؟ «وَاللَّهِ لَوْ عَجَّلَ لَكُمْ
النَّوَابُ فِي الدُّنْيَا لَأَسْتَقَلَلْتُمْ كُلُّكُمْ مَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، أَفَتَرْغَبُونَ فِي
طَاعَةِ اللَّهِ بِتَعْجِيلٍ دُنْيَا تَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ، وَلَا تَرْغَبُونَ وَلَا تَنَافُسُونَ
فِي جَنَّةٍ» {أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد: ٣٥]^{٩٣}

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مُبْتَلًى فَأَفَاقَ فَقَالَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟» قَالَ: قَرَأْتُ {أَفَحَسِبْتُمْ
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥]

^{٩٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٦٦٨، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٣} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٣١) حسن

حَتَّى فَرَغَ مِنَ السُّورَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مَوْفَّقًا
قَرَأَهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»^{٩٤}

وقال تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ
(٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) } [المؤمنون: ٩٩،
١٠٠]

لَا يَزَالُ الْكَافِرُ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ، وَلَا يُبَالِي بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ مِنَ
الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ، وَعَايَنَ مَا هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ نَدِمَ عَلَى مَا فَاتَ، وَأَسْفَى عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ،
وَقَالَ: رَبِّ ارْجِعُونِ لِأَعْمَلْ صَالِحًا فِيمَا قَصَرْتُ مِنْ عِبَادَتِكَ،
وَحُقُوقِ عِبَادِكَ.

إِنَّ الْكَافِرَ يَسْأَلُ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحًا، وَيَتَذَرَّكَ مَا
فَرَّطَ مِنْهُ، وَلِيُصْلِحَ فِيمَا تَرَكَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ. وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
رَادَعًا وَزَاجِرًا: إِنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَى طَلِبِهِ هَذَا (كَلَّا) . فَهِيَ كَلِمَةٌ
مَقُولَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، يَقُولُهَا كُلُّ ظَالِمٍ وَقْتَ الضِّيقِ وَالشَّدَّةِ، وَلَوْ رُدَّ
لَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ، وَجَاءَتْهُ الْآيَاتُ فَلَمْ
يَتَّعِظْ بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلْ صَالِحًا، وَيَقُومَ وَرَاءَهُمْ حَاجِزٌ (بَرْزَخٌ) ،

^{٩٤} - الدعاء للطبراني (ص: ٣٣١) (١٠٨١) حسن

يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَتَّقُونَ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ
يُعْتَنُونَ وَيُنْشَرُونَ.^{٩٥}

[ب] فمن عاش في الدنيا حياةً طويلةً وليس له هدفٌ ولا قضيةٌ إلا
عيش البهائم، وغرائز البهائم، وطعام البهائم، وشهوات البهائم؛
فكأنما قضى في يوم مولده؛ فليس له من الحياة يومٌ واحدٌ! ورحم
الله الشاطبي حيث قال:^{٩٦}

ولو أن عينا ساعدت لتوكّفت سحائبها بالدمع ديمًا وهطلاً!
ولكنّها عن قسوة القلب قحطها فيا ضيعة الأعمار تمضي سبّهلًا!
[ت] وأما العاقل الذي أيقن أن الحياة قصيرة، ومُتعتها قليلة، وأنه
ميتٌ لا محالة؛ فإنه لا بدّ سيختار ميتةً نبيلةً جليلاً! كما قال ابن
نباتة:^{٩٧}

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوّعت الأسبابُ والداءُ واحدٌ!
[ث] وقد أحسن من قال:^{٩٨}

^{٩٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٦٥٢، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٦} - حرز الأمانى ووجه التهاني للشاطبي ص ٢٤. دار الكتاب النفيس. بيروت. ط ١.
١٤٠٧هـ.

^{٩٧} - السحر الحلال في الحكم والأمثال (ص: ٤٦) والمحاضرات والمخاورات (ص: ٣٧٩)
وتراجم شعراء موقع أدب (٧٩/ ٤٠٨) وصيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم
والأمثال (٢/ ٣٩٦)

^{٩٨} - تراجم شعراء موقع أدب (٣٠/ ٤٥٢)

إِنَّ الرَّدَى دَيْنٌ عَلَيْكَ قضاؤه فاسْمَحْ به في أشرفِ الأوطانِ!
من فات أسبابَ الرَّدَى يومَ الوغَى لَحِقَتْهُ في أَمْنٍ يَدُ الحَدَثَانِ!

(٢٠) الصلة بين الشهادتين:

[أ] إِنَّ بَيْنَ شَهَادَةٍ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) رَحِمًا أَدْرَكَهُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؛ فَمَضُوا إِلَى رَبِّهِمْ مُخْلِصِينَ، وَقَضُوا نَجْبَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَادِقِينَ! كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]

لقد كانوا ناسا من البشر، لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوبا منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس ويفقدوا خصائصه ومميزاته. فلهذا خلقهم الله. خلقهم ليقبوا بشرا، ولا يتحولوا جنسا آخر. لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجرا ..

كانوا ناسا من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة. ولكنهم كانوا - مع هذا - مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط وتحدد فيهم

الأمل، وتحرسهم من القنوط .. وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير.

وعلى أن ندرك هذا لندرك ذلك النموذج الفريد في تاريخ العصور. علينا أن ندرك أنهم كانوا بشراً، لم يتخلوا عن طبيعة البشر، بما فيها من قوة وضعف. وأن منشأ امتيازهم أنهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى قمة مهياة لبني الإنسان، في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمسك بعروة السماء.

وحيث نرانا ضعفاً مرة أو زلزلنا مرة، أو فزعنا مرة، أو ضيقنا مرة بالهول والخطر والشدة والضيق ..

فعلى ألا نياس من أنفسنا، وألا نهلح ونحسب أننا هلكنا أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً! ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى جوار ضعفنا لأنه من فطرتنا البشرية! ونصر عليه لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى. عروة السماء. وعلى أن نستمسك بها لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر. فنثبت ونستقر، ونقوى ونطمئن، ونسير في الطريق.

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام. النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية

وحسن بلائه وجهاده، وثباته على عهده مع الله، فمنهم من لقيه،
ومنهم من ينتظر أن يلقاه: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ. فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ. وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا»^{٩٩}..

[ب] وقال سيّد منهم: "إن المبادئ والأفكار في ذاتها - بلا عقيدة
دافعة - مجرد كلمات خاوية، أو على الأكثر معانٍ ميتة! والذي
يمنحها الحياة هو حرارة الإيمان، المشعة من قلب إنسان! لن يؤمن
الآخرون بمبدأ أو فكرة تنبت في ذهن بارد، لا في قلب مشع.
آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الحار! عندئذ
فقط يؤمن بها الآخرون!! وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية، خالية
من الروح والحياة! ...

لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان، ولم تصبح كائناً حياً دبّ
على وجه الأرض في صورة بشر! ... كذلك لا وجود لشخص -
في هذا المجال - لا تعمّر قلبه فكرة يؤمن بها، في حرارة وإخلاص
...

^{٩٩} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٦٠٩)

إن التفريق بين الفكرة والشخص، كالتفريق بين الروح والجسد أو المعنى واللفظ، عملية - في بعض الأحيان - مستحيلة، وفي بعض الأحيان تحمل معنى التحلل والفناء!.

كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان! أما الأفكار التي لم تُطعم هذا الغذاء المقدس، فقد وُلدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الأمام!.

إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات! إن أصحاب الكلمات والأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً .. ولكن بشرط واحد أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم، أن يُطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق.

"إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثة هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها أو فديناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء .." ١٠٠

١٠٠ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٧٠)
ودعوة المقاومة الإسلامية العالمية موافق للمطبوع (ص: ٦٨٥) وأفراح الروح (ص: ١٣)
ودعوة المقاومة الإسلامية العالمية موافق للمطبوع (ص: ٦٨٥) وموسوعة البحوث
والمقالات العلمية (٧ /) وكتب ومقالات الشهيد عبد الله عزام (٩٢ / ٢١) وكتب
ومقالات الشهيد عبد الله عزام (٩٢ / ١)

[ت] فنسأل الله تعالى أن يُحسِنَ ختامنا، وأن يجعل (لا إله إلا الله) آخرَ كلامنا: كما ذكر ابن أبي حاتم أن أبا زُرعة الرازي سئل في مرض موته عن حديث (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)، فذكر الشيخ الحديث؛ حتى إذا بلغ (لا إله إلا الله) فاضت روحه! ^{١٠١}

[ث] ونسأله تبارك وتعالى الشهادة الصادقة في سبيله؛ فلن تعود — والله — أمجاد المسلمين، أو تعلو راية (لا إله إلا الله)؛ إلا إذا اشتقنا إلى الموت في سبيل الله؛ فعن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» ^{١٠٢}

فنكون كما قال ابن النحاس في (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق): "يبيت كلُّ منا: السيفُ العُضْبُ له ضجيعاً، ويصبحُ معترِكُ الحربِ الضُّرُوسِ له ربيعاً... وأن نتطهرَ بدماءِ المشركين والكفار؛ من أرحاس الذنوب والأوزار!" ^{١٠٣}

^{١٠١} - ذكره القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٥-٣٦. دار الريان القاهرة. ط ٢. ١٤٠٧هـ.

^{١٠٢} - صحيح مسلم (٣/١٥١٧) ١٥٧ - (١٩٠٩)

^{١٠٣} - مشارق الأشواق ص ٢١. ط ١٤١٩هـ.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه
ومن والاه.
انتهى الكتاب



الفهرس العام

٤	مقدمة المؤلف:
٧	(١) الموت عند الكفار:
٨	(٢) الموت عند المؤمن:
١١	(٣) ارتباط الموت بعقائد الأمم:
١٩	(٤) حقيقة الموت:
٢٢	(٥) الموت ووجود الخالق:
٢٣	(٦) الموت ومعرفة الله:
٢٥	(٧) الموت والتوكل:
٢٦	(٨) الموت والقدر:
٢٩	(٩) اليقين بالموت:
٣٠	(١٠) الغفلة عن الموت:
٣٥	(١١) اقتراب الموت:
٣٧	(١٢) الموت وفناء الدنيا:
٤٢	(١٣) الموت ولذات الدنيا:
٤٥	(١٤) الموت والزهد:
٥١	(١٥) اليقين بأن الموت بالمرصاد:
٥٦	(١٦) الموت والانتقاء:

- ١٧) الموت بوابة اليوم الآخر: ٥٨
- ١٨) الموت الحقيقي: ٦٢
- ١٩) الموت ورسالتنا في الحياة: ٦٦
- ٢٠) الصلة بين الشهادتين: ٧٠